لماذا الشباب ؟

١_ قدرتهم على التواصل، واكتسابهم لجرعات كبيرة ونوعيّة من الوعي والمعرفة (بفضل تطوّر التعليم وثورة الاتصالات) ووصول الأفكار الإنسانية والقيم والمبادئ وأدبيات حقوق الإنسان إلى هذا الجيل، الذي كان مهمّشاً و متروكاً للعبث والهجرة والارتداد.

٢_ اصطدموا بجدران اليأس والعدمية وانغلاق المستقبل أمامهم، لأنّ الأنظمة الفاسدة لم توفّر لهم العمل وما يتبعه من سكن وزواج ومستقبل هانئ، فتراكموا في سوق البطالة، وانعدم الأمل بوجود وظيفة،وكاد اليأس أن يأكل قلوبهم .

٣_ أدركوا أن المؤسسة الرسمية مُنافقة بإمتياز، وتكذب وتبيع الأوهام وتوزّع الوعود،أمام استباحة طالت كرامة الوطن والمواطن، وعرّضت مصالح الأمّة للضياع والتبديد، ومكّنت أعداء المقدّسات منها . ودفعت الشعوب العربية إلى المهانة والصَغَار، كما لم توفّر دينَه ونبيّه وأحلامه .

٤- إن وقود الثورات الأكثر إشتعالاً كان من الفئات الإجتماعية غير المُؤَدْلَجَة، بمعنى أن الشباب بمعظمه والمثقفين وما سُمي بحزب الكَنَبَة .. هم غير مقيّدين بتعليمات وأوامر وفرمانات وتحديدات تهبط عليهم من مسؤولي الأحزاب والتنظيمات، التي تغلب عليها شهواتها وتطلعاتها و تحالفاتها، وهي عوامل تقيّد بالفعل والضرورة .

لهذه الأسباب مجتمعة، وجد الشباب العربي نفسه مضطراً لأن يخوض غمار هذه الثورة، لعلّه يستعيد الجدوى والإمكانية، ويتطلّع من جديد إلى فضاء يهجس لأنْ يكون أفضل له وللآتين من بعده، وهذا ما يوضح أسباب

انخراط الشباب أكثر من غيرهم في الثورة، ويعتبرون بجدارة العمالیق العباقرة، الذين سدّدوا فاتورة الدّم لتنكشف الغمّة ويبزغ فجر جديد .
ومن نافل القول إن الشباب (الشبان والصبايا)، صاحب العنفوان والمغامرة، يتمتّع بإمكانيات رشيقة أكثر من غيره في المجتمع، ذلك لأنّ الشباب أكثر قدرة على الاحتمال جسدياً و معنوياً، وليس لديه ما يخسره سوى القيود والبطالة والذلّ . وحمولة الشباب خفيفة من حيث التَبِعات والمسؤوليات الأُسَرية والعائلية .
والمفارقة هنا أنّ الشباب، إلى حدّ كبير، لم يستطيعوا تجميع أنفسهم والإفادة من زخم قوّتهم، وأرى أنهم ما زالوا في تيهٍ وحيرة حتى الآن ! رغم أن هذه الثورات هي التي أتاحت للشباب وغيرهم فرصة المشاركة والانخراط في الحياة ،بعد أن كان المشارك هو من يفسح الحاكم له المجال للمشاركة .
ويؤكد الكثيرون أن شعلة التمرّد التي تأجّجت لن تنطفئ لجيل كامل، بمعنى أن "فيروس"الثورة الحميد سيبقى في جسد الحياة لعقدين على الأقل !
وثمة غير سؤال يتقدّم نحو الشباب، أوّلها، المناداة لتجيمع شتات أنفسهم وأمرهم في بوتقة أو جبهة عريضة، تمكّنهم أكثر من لعب دورٍ أكبر وفعلي، في رسم صورة المستقبل، إضافة إلى أنّ خطاب الشباب لا ينبغي أن يظلّ تابعاً لخطاب آبائهم في الأحزاب أو الأندية و الجبهات، ثم التركيز على حزمة مطالب كاملة تخصّ الشباب، بدل الإكتفاء ببعض الجُمَل والمواد الدستورية المجزوءة، التي تُعنى بالشباب وكأنها ترضِيَة لهم، عدا عن سؤال مُلِحٍّ، وهو: لماذا يرضى الشباب بالبقاء خلف الآباء السياسيين ؟
وأنا هنا لا أنتصر لنظرية"قَتْل الأب" لكنّي أُذَكّر بأمرين : هما أن النبي الكريم -عليه وعلى آله السلام- الذي قال بأنه نُصِر بالشباب، قد اعتمد وأركن وراهن وعَوَّل على الشباب فعلياً، فنراه وقد وَلَّى عتّاب بن أسيد مكّة المكرمة وهو ابن ثمانية عشر عاماً ،واستعمل عمرو بن حزم على نجران وعمره سبع عشرة سنة ،وأمَّر عثمان بن أبي العاص على ثقيف وكان دون العشرين .. عداك عمّا لعبه الشباب الصحابة من أدوار محورية تاريخية، وتحمّلوا

مسؤوليات خطيرة ، بعد أن زرع فيهم الرسول القائد الثقة بالنفس وفجّر طاقاتهم الخلاّقة، أمثال المئات، الذين نذكر منهم : عبد الله بن عباس وأسامة بن زيد ومعاذ بن جبل وجعفر بن أبي طالب وعبدالله بن قيس، رضوان الله عليهم .. وقد أكد المصطفى – عليه وعلى آله السلام – أن الأفضل هو الكبير وليس الكبير هو الأفضل .

ونذكّر الشباب بأنّ أهم وأطول وأنصع الثورات قام بها شباب لم يكملوا عقدهم الثالث أو ما شابه، بدءاً من ثورات أمريكا اللاتينية والوسطى، والثورة الفلسطينية وفيتنام وجنوب أفريقيا، وحتى ثورة يوليو عبد الناصر والصين وغيرها !

والأمر الآخر هو أنّ عدم توحّد الشباب جعلهم مرؤوسين يتحكّم بهم المسؤول السياسي هذا أو ذاك، ولو توحّد الشباب لأصبح القائد العجوز مرؤوساً .

ظلّ أن أقول إنّ الكثير من المآخذ قد يُدبّجها أصحاب المصالح الظالمة الذين ينتمون إلى الثورة المضادة فيعتبرون هذا الربيع رِجْسٌ من عمل الشيطان، لكنّ الحقيقة هي أنّ الملائكة من البشر الأطهار،هم الذين اجترحوا هذه المعجزة، التي ربّما يتمّ اعتراضها أو تلويثها أو يركبون موجاتها، لكنّ روحها لا تموت . وسنرى عمّا قريب، أنّ تلك البذرة، التي يحاول البعض أنْ يدفنها، تمور بمائها الساخن تحت التراب، وأنّ الكثير من الحقائق لم تظهر بعد، فلننتظر لنتأكد ونُوقِن أنّ هذا الربيع مَوْجَةٌ كونيّة ثالثة، ستُغيّر وجهَ المستقبل ووجهته، نحو الشمس، والحقول الفتيّة المُطلقة.